الفكر الوسطي لمواجهة التطرف الديني

Moderate thought against religious extremism

الدكتورة : حميدة بن زيطة [1]
Hamida BENZITA [1]
1 جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، Benzita.abdou@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/11/07- تاريخ القبول: 2020/03/19- تاريخ النشر: 2020/03/30

ملخص:

الغلو في الدين سلوك مشين ابتدعه الإنسان غير السوي ونتج عنه منهج حياة افترضه المغالي على نفسه بتوجيه من عقله البشري المنعوت بالقصور، وبمقتضاه كلف نفسه ما يشق عليها. ولا علاج لهذه الظاهرة الغريبة إلا بمجابهتها بالفكر الوسطي للإسلام الذي يمثل المنهج الرباني الذي ابتغاه الله لعباده، ولم يكلفهم به إلا ما يطيقون، فرفع عنهم الحرج ويسر لهم بسماحته سبل عبادته, هذا ما سنفصله في هذا المقال

كلمات مفتاحية: تطرف، سماحة الإسلام، اعتدال، وسطية، غلو.

Moderate thought against religious extremism

Abstract:

Religious extremism is a rejected behavior characterized by injustice, resulting in an exaggerated lifestyle. Extremists go beyond the bounds of religion and tend to interpret texts to their benefits and to ignore what contradict them. This strange attitude can only be approached by moderate thoughts of Islamic teachings, the divine method intended by God to his servants. It should be reminded that Allah tasked not people beyond their scope, and has not laid upon them in religion any hardship. Allah made Islam a religion of ease, tolerance and good treatment for his servants. These points will be examined in this article.

Keywords: extremism, radicalization, Islam, tolerance, moderation, exaggeration

المؤلف المرسل: د.حميدة بن زيطة ، **الإيميل**:Benzita.abdou@gmail.com

1. مقدمـة

إن موضوع الفكر الوسطي كمنهج تربوي لمواجهة التطرف الديني تجاذبته أطراف متعددة تتنوع بتنوع صفة كل طرف ومقصده، فمنهم الجفاة الذين يتهمون أهل التمسك بالغلو، ومنهم الأعداء الذين يتخذون مهاجمة الغلو ذريعة لمهاجمة الإسلام برمته، بالإضافة إلى الغلاة أنفسهم الذين ينفون الغلو عن ذواتهم ويتهمون غيرهم بالمروق من الدين.

وكبرت فتنة الجميع في هذا العصر، وساعدهم على نشرها وفي مختلف أصقاع العالم وسائل الإعلام المعاصرة، ويسرت لكل طرف نشر مقصده (اللويحق، 1996، ص: 03).

والوضع وهو كذلك يقتضي البحث عن المنهج القويم الذي يصحح المفاهيم ويدحض مختلف أساليب الغلو وينقيها من المجتمع الإسلامي الموصوف بالوسطية مصداقا لقوله تعالى: [وكذلك جعلناكم أمة وسطا] (البقرة: 143).

2. تحديد بعض المفاهيم

وقبل الخوض في تفصيل الموضوع، أرى أنه من الضروري الوقوف برهة لتوضيح بعض المفاهيم.

وليس الغرض من تحديد بعض المفاهيم الواردة في المقال، الادعاء بصعوبة مدلولاتها لدى السامع أو القارئ، إنما القصد هو محاولة وضعها في إطار معين ييسر فهم مقصد استعمالها ليكون هناك هامش من التفاهم المسبق بين الملقي وبين السامع أو القارئ يجعل الإرسال والاستقبال يمران بسلاسة وعلى وتيرة واحدة دون حاجة إلى تذليل صعوبات محتملة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إن العلم بحقائق الأشياء أو الوعي بمضامينها يعتبر سياجا أساسيا لضبط دائرة الخلاف.

وزيادة على ذلك فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ولذلك اهتم علماء الإسلام بالمصطلحات الشرعية وحرصوا على تحديدها (اللويحق، 1996، ص: 50).

والمفردات المراد تعريفها هي: الفكر – الوسطية – الغلو

1.2. تعريف الفكر

أصل الكلمة من فكر يفكر تفكيرا.

والفكر هو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول أو يصل إلى حل، وجمعه أفكار (منظمة لاروس: مادة فكر).

ويعرف الفكر أيضا بأنه إعمال العقل في الشيء ليفهم جوانبه وحقيقته. وقيل الفكر حركة النفس في المعقولات بخلافها في المحسوسات فإنها تخيل لا فكر (عبد المنعم، 1999، 52/3).

2.2. تعريف الوسطية

1.2.2.التعريف اللغوي

إن كلمة وسط بفتح السين تطلق على معان متعددة منها:

– أنها كلمة لما بين طرفي الشيء وهو منه، كقولك أخذت بوسط الحبل وجلست وسط الغرفة.

– وتأتي صفة للشيء ويكون معناها خيار وأفضل وأجود، فأوسط الشيء هو خياره وأفضله، ومنه واسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها وهو أجودها.

– ووسط الشيء وأوسطه هو أعدله (ابن منظور، 1982، مادة وسط).

والملاحظ أن هذا اللفظ مهما تصرفت فيه فإنه لا يخرج عن معنى العدل والفضل والخيرية.

2.2.2. التعريف الاصطلاحي

يقول العلماء أن الوسط من كل شيء هو أعدله، وهو الخيار لأن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط.

والوسط لا ينبغي أن يفهم على أنه مجرد نقطة بين طرفين أو وسطية جزئية كما يقال: فلان وسط في كرمه أو وسط في دراسته، ويراد أنه وسط بين الجيد والرديء، فهذا فهم ناقص يسيء إلى معنى الوسطية التي هي العدل والخيار والأفضل (الصلابي، 2007، ص: 40).

والوسط هو العدل الذي نسبة الجوانب إليه كلها على السواء، فهو خيار الشيء، ومتى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع في الضلال عن القصد (عبد المنعم، 1999، 475/3).

وسوف يكتمل لنا وضوح المفهوم الشرعي للوسطية عندما نتطرق في صلب الموضوع إلى الملامح والسمات التي تتميز بها.

وبتركيب المفردتين (الفكر–الوسطي) يصبح معنى هذا المركب هو الفكر النزيه الراغب عن الهوى والتشهي المنعوت بالخيار والأفضل والأحسن حتى يخرج مفهوم الوسطية في منظور القرآن من مجرد التموقع بين شيئين كما هو عند اليونان.

3.2.تعريف الغلو

1.3.2.التعريف اللغوي

تكاد معاجم اللغة العربية تتفق على أن الغلو في اللغة يدل على الارتفاع والمجاوزة (ابن منظور، 1982، مادة غلو).

يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: «الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة» (ابن فارس، 2011، مادة غلو).

يقال غلا في الأمر غلواً إذا جاوز حده، وغلا السعر يغلو غلاء وذلك ارتفاعه. يقال غلا في الدين غلوا إذا تشدد وتصلب فيه حتى جاوز الحد (الجوهري، 1984، مادة غلو).

2.3.2. التعريف الشرعي

يعرف شيخ الإسلام ابن تيمية الغلو بأنه مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك (ابن تيمية، 1404، 289/1).

وهو عند الحافظ ابن حجر المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد (ابن حجر، 1989، 256/13).

وبمقارنة العديد من التعريفات الشرعية للغلو يظهر أنها متقاربة في المدلول الذي هو تجاوز الحد الشرعي.

والحدود هي النهايات لما يجوز من المباح المأمور به وغير المأمور به (اللويحق، 1996، ص: 79).

ويؤكد هذا ورود النهي عنه في القرآن الكريم تلميحا وتصريحا كقوله تعالى: [لا تغلوا في دينكم] (النساء، 171).

وفي السنة كقوله ﷺ: (إياكم والغلو في الدين) (ابن ماجه، كتاب المناسك، 3029).

والخلاصة أن المفهوم الجامع للغلو هو تجاوز الحد الشرعي بالزيادة اعتقاداً أو عملاً.

وبعد الوقوف على هذه المفاهيم نقول أن الغلو لم يعد ظاهرة منفردة مقيتة تخص بيئة معينة أو فئة مخصصة.

وبقدر ما انتشر في العالم الإسلامي تعددت أشكاله وتنوعت صوره بحيث شملت نواحي كثيرة من حياة الإنسان وعم مجالات الاعتقاد والعبادات والسلوك والعادات وغير ذلك، مما سبب ويسبب في تفرقة أفراد الأمة الإسلامية إلى فرق غالت في الإفراط والتفريط، وهي الخاصية الغالبة في الغلو في الدين.

وقبل التطرق إلى الحديث عن الفكر الوسطي كمنهج لمواجهة التطرف الديني أواصل الحديث أولا عن الغلو في الدين مبينا مظاهره وأنواعه وآثاره باعتباره أساس التطرف ومنبعه.

3. الغلو في الدين

وإذا كان الغلو بصفة عامة ينبئ عن سلوك مشين فإن الغلو في الدين يمثل أقبح مظاهر الغلو، فهو يتنوع باختلاف متعلقاته من أفعال العباد وسلوكهم.

وهو على نوعين: غلو اعتقادي وغلو عملي.

أما النوع الأول فهو الغلو الكلي الاعتقادي لأنه متعلق بكليات الشريعة الإسلامية ومجاله باب العقيدة، فهو إذن محصور في الجانب الاعتقادي والذي يكون منتجا للعمل بالجوارح. وأمثلته في عصرنا كثيرة منها:

- الغلو في الأئمة وادعاء العصمة لهم.
- الغلو في البراءة من المجتمع العاصي وتكفير أفراده واعتزالهم.

والغلو الكلي الاعتقادي هو أشد خطرا من الغلو العملي لأنه السبيل إلى إحداث الانشقاق في صف المجتمع، وإظهار الفرق الخارجة عن الصراط المستقيم.

أما النوع الثاني فهو الغلو الجزئي العملي الذي يتمثل في السلوكيات والعبادات، ولذلك يبقى ضرره قاصراً على الغالي نفسه ولا يضر الأمة بأكملها كما هو شأن النوع الأول.

وكون هذا النوع جزئيا لأنه يتعلق بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة الإسلامية.

ولتوضيح الفرق ين النوعين من الغلو نقول: إن الذي يقوم الليل كله ويمنع نفسه على الدوام من متعة الراحة يعد غاليا غلوا عمليا، والذي ينعزل عن مساجد المسلمين ويراها مساجد ضرار فهو غال غلوا كليا اعتقاديا(اللويحق، 1996، ص: 77).

ولما كان الغلو سلوكا يرمي بصاحبه في غياهب التهلكة، نبّه العلماء إلى عدم إلصاق التهم بالناس مجانا لأن تحديد مفهوم الغلو يجب أن يقوم على ما تضمنه الكتاب والسنة، ولا يفتح للتشهي والحكم على أخلاق الناس بما يمليه ضمير الآخرين.

يقول الشيخ القرضاوي: «لا قيمة لأي بيان أو حكم هنا ما لم يكن مستنداً إلى المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وإلى النصوص والقواعد الشرعية الثابتة لا إلى الآراء المجردة» (القرضاوي، 1402، ص: 24).

ومن المظاهر والدلائل التي تجسد مفهوم الغلو والتطرف يذكر العلماء الصور الآتية:

- التعصب للرأي وعدم النظر للرأي المخالف.

- إلزام الغير بما لم يلزمه به الله.
- التشديد في غير محله على الناس أو على النفس.
- الغلظة والخشونة.
- سوء الظن بالناس .
- انتهاج أسلوب تكفير الغير.
- التعصب للجماعة بغير حق.
- الغلو في البراءة من المجتمعات المسلمة.
- تحريم الطيبات. (اللويحق، 1996، ص: 153).

ومن مِنَنِ الله ونعمه على هذه الأمة أن جعلها أمة وسطا خيارا وعدولاً مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: [وكذلك جعلنكم أمة وسطا] (البقرة، 143).

وتقتضي منته هذه أن تكون هذه الأمة خير الأمم، ولذلك وصفها سبحانه وتعالى بهذه الخيرية فقال: [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله] (آل عمران، 110)، ففي الآية ضوابط تقيد المنهج الوسطي الذي تلتزم به.

غير أن المتدبر في أحوال هذه الأمة والواقع الذي تعيشه، ومن خلال ما سبق عرضه عن موضوع الغلو وما نتج عنه من إفراط وتفريط وجفاء وإسراف وبروز بعض أعمال الغلو وآرائه من بعض المنتمين للتيارات الإسلامية يلاحظ أن هذه الأمة في حاجة ماسة إلى إعادتها إلى سابق عهدها ونبذ ذلك الغلو الدخيل عليها بنقد آرائه نصحا للأمة وتحصينا لشبابها.

وحق لنا الآن أن نتساءل هل توجد وصفة بيداغوجية ناجعة لمجابهة الغلو واختراقه قصد إعادة المغالين إلى طبعهم المعتدل وسد الطريق أمام المعتدلين من الوقوع في شراك الغلو والتطرف؟

ويبدو أن الأمر ليس بعزيز إذا توفرت النوايا الحسنة وأسندت المهمة إلى أهلها واستغلت في ذلك منابر التوجيه والإرشاد من مساجد ومؤسسات التربية والتعليم على مختلف مراحله خاصة وأن من مفردات المنهج البيداغوجي الذي يعد لذلك هو الفكر الوسطي الذي يميز الدين الإسلامي.

وتتحقق الغاية المقصودة لإعادة المياه إلى مجاريها ببيان أسس هذه الوسطية وملامحها لأن بضدها الأشياء تتميز.

4. أسس الوسطية

يظهر من خلال المفاهيم التي وضعت للوسطية أنها تقوم على أمرين ظاهرين بهما تتجلى مقاصدها وغاياتها، وهما الخيرية والبينية.

ولا يمكن الوقوف على التصور الدقيق لهاتين الدعامتين اللتين تحددان مفهوم الوسطية إلا ببيان أسسها التي تتمثل في:

1.4. عدم الغلو

فالغلو كما سبق شرحه هو مجاوزة الحد وهو سلوك منهي عنه وأدلة النهي عنه كثيرة منها:

قول الله عز وجل: [لا تغلوا في دينكم] (النساء، 171). وقوله تعالى: [قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل] (المائدة، 77).

وقال رسول الله ﷺ: (هلك المتنطعون قالها ثلاثا) (مسلم، 2670).

قال النووي هلك المتنطعون أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم (النووي، 220/16).

وجاء في قوله ﷺ: (إن الدين يسر ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) (البخاري، 30).

وقد يتجلى الغلو في إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله.

روي عن أنس بن مالك τ قال: «دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال ما هذا الحبل؟ فقالوا هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به فقال النبي ﷺ حلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد» (البخاري، 1150).

وقد يتجلى أيضا في تحريم الطيبات على وجه التعبد أوترك الضرورات تعبداً.

روى أنس بن مالك τ قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ρ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، قال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (مسلم، 1402).

وهكذا يتبين أن الغلو وبجميع مشتقاته اللغوية خروج عن الوسطية وينتج على ذلك أن كل أمر وصف بالغلو فهو ليس من الوسطية في شيء.

2.4. عدم التفريط والجفاء

إذا كان التفريط هو التضييع والتقصير والترك، فإن الجفاء لا يخالفه في المعنى، فهو النبو والترك والبعد، فهما سلوكان مذمومان بكثير من النصوص الشرعية منها:

– قوله تعالى: [قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها] (الأنعام، 31).

– قوله تعالى: [أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين] (الزمر، 56).

– قول الرسول ﷺ: (الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار) (الترمذي، 2009).

ومن أمثلة التفريط تأخير الصلاة عن وقتها وترك الأخذ بالأسباب وإهمال تربية الأولاد.

ومن أمثلة الجفاء عقوق الوالدين والغلظة في المعاملات.

ويترتب عن هذا أن كل أمر اتصف بالتفريط أو الجفاء فإنه لا يندرج ضمن مفهوم الوسطية التي يتميز بها الدين الإسلامي.

3.4. اتباع الصراط المستقيم

لا يدرك مغزى الوسطية في الإسلام على حقيقته إلا بفهم معنى الصراط المستقيم، هذا التعبير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم عشرات المرات وبصيغ مختلفة. وتبارى المفسرون في إعطاء معناها الحقيقي، فتعددت ألفاظهم واتحدت مراميهم، ولذلك اقتصر على ذكر ما ذهب إليه الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسير الصراط المستقيم حيث قال: «والصراط في هذه الآية –آية الفاتحة– مستعار لمعنى الحق الذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضا الله، لأن ذلك الفوز هو الذي جاء الإسلام بطلبه. والمستقيم اسم فاعل من استقام، مطاوع قومته، والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا تعاريج، وأحسن الطرق الذي يكون مستقيما، وهو الجادة لأنه باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره، فلا يضل فيه سالكه ولا يتردد ولا يتحير، والمستقيم هنا مستعار للحق البين الذي لا تخالطه شبهة باطل» (بن عاشور، 190/1).

وهكذا يتبين أن معنى الصراط المستقيم هو الأمارة الدالة على الوسطية وهو ما أكده الدكتور علي محمد الصلابي وهو يبرز الصلة بين الوسطية والصراط المستقيم حيث قال: «إن معنى الصراط المستقيم

يدل على الوسطية في مفهومها الشرعي الاصطلاحي الذي سبق تقريره وبخاصة أن ما جعلته لازما لمفهوم الوسطية وإطلاقها قد تحقق في معنى الصراط المستقيم» (الصلابي، 2007، ص: 67).

5. ملامح الوسطية

إن الفكر الوسطي لهو السلاح المميز لمجابهة الغلو والتطرف بوسطيته التي اختصت بها الأمة الإسلامية. فهي حينئذ مرتبة عزيزة المنال وهي ليست مجالا سهلا لأصحاب الشهوات والهوى ليكيفوها حسب أغراضهم ومقاصدهم بل هي مؤسسة على مجموعة من الملامح والسمات الخاصة بها.

وسأقتصر هنا على ذكر بعضها في الآتي:

1.5 الخيرية

والخيرية من معاني الوسطية. يقول الحق سبحانه وتعالى: [كنتم خير أمة أخرجت للناس] (آل عمران، 110).

ويشرح معناها ابن كثير في تفسيره فقال: «يعني خير الناس للناس والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس» (ابن كثير، 391/1).

والأمة الإسلامية ما نالت هذه الخيرية إلا لكونها اتصفت بأمور ميزتها أهمها ثلاثة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

ومن ثمة كان لزاما أن تتوفر هذه الأمور في كل جيل من هذه الأمة وإلا فالجيل الذي تفقد فيه لا يكون حريا بهذه الخيرية كما يقول الدكتور علي محمد الصلابي (الصلابي، 2007، ص: 75).

ومن الأوجه البارزة للخيرية:

– الإيمان بالله: فإيمان هذه الأمة يختلف عن إيمان سائر الأمم الأخرى فهو إيمان عامل وشامل يشمل جميع الرسل والكتب، كما في قوله تعالى: [آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير] (البقرة، 285).

– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو من أبرز خصائصها ويدل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قدمه في الآية على الإيمان به مع أن الإيمان بالله مقدم في الرتبة.

وتظهر أهمية هذا الوجه في أن الله سبحانه وتعالى أمر الأمة بأن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر موجبا دوام الفعل فقال سبحانه تعالى: [ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون] (آل عمران، 104).

وأوجب النبي ﷺ هذا الوجه من وجوه الخيرية على أمته وعلى مختلف أفرادها فقال ρ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) (مسلم، 49).

– دخول الجنة: ومن أوجه الخيرية لهذه الأمة كونها أكثر الأمم دخولا إلى الجنة.

يقول الرسول ﷺ: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا نعم. قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا نعم. قال أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا نعم. قال والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر) (البخاري، 6528).

2.5. العدل

والعدل ملمح من ملامح وسطية الإسلام. فقد جاء في كثير من النصوص الشرعية وتفاسير العلماء أن الوسطية هي العدل، وهو بمعنى الخيار لأن الخيار من الناس عدولهم. وجاء ذلك واضحا في قوله ρ: (الوسط العدل) (البخاري، 4487)

والعدل سلوك يميز هذه الأمة الخاتمة وهو من المهام التي تضطلع بها لتحملها مسؤولية الشهادة على غيرها من الأمم بالإيمان أو الكفر كما جاء في تفسير قوله تعالى: [وكذلك جعلناكم أمة وسطا] (البقرة، 143).

والأمة المسلمة مأمورة بأن تجعل العدل خلقا من أخلاقها، وأن تكون قوامة به. يقول الحق سبحانه وتعالى: [يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون] (المائدة، 08).

والصور التي جسدت العدل في هذه الأمة كثيرة ومتعددة سواء في عهد النبي ﷺ أو في عهد الصحابة أو في باقي مراحل التاريخ الإسلامي.

وهكذا يضاف العدل إلى ملامح الوسطية ليتجلى دورها في مجابهة الغلو والتطرف.

3.5. اليسر ورفع الحرج

إذا كان اليسر هو ما يقدم عليه الإنسان من غير أن تلحقه مشقة زائدة. وكان الحرج هو كل ما أدى إلى مشقة زائدة، فإن رفع الحرج حينئذ يصبح وجها مكملا لليسر.

والنصوص الشرعية الدالة على أن الإسلام دين يسر وأن الله قد رفع الحرج عن هذه الأمة كثيرة نذكر منها على سبيل الاستشهاد:

من القرآن الكريم:

- قوله تعالى: [يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر] (البقرة، 185).
- قوله تعالى: [يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا] (النساء، 28).
- قوله تعالى: [وما جعل الله عليكم في الدين من حرج] (الحج، 78).
- قوله تعالى: [لا يكلف الله نفسا إلا وسعها] (البقرة، 286).

ومن السنة النبوية:

- قوله ﷺ: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا) (ابن حجر، 116/1).
- قوله ﷺ: (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) (ابن حجر، 541/1).
- قوله ﷺ: (أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أمَّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة) (مسلم، 484/4)

يمكن تلخيص هذا الملمح بما تصوره الدكتور علي الصلابي حيث قال: «وبهذا التعريف والشمول ندرك أن هذا الأمر يندرج في منهج الوسطية التي هي سمة من سمات هذه الأمة، وخاصية من خصائصها، فلن نستطيع أن ندرك حقيقة الوسطية إلا إذا فهمنا سمة اليسر والتوسعة ورفع الحرج وإلا تصبح الوسطية معنى مفرغا من حقيقته، وقولا نظريا لا وجود له في الواقع وبذلك يفقد هذا الدين خاصية لها أثرها في حياة الناس ومآلهم» (الصلابي، 2007، ص:42).

4.5. الاستقامة

وهي من ملامح الوسطية بل هي من ضوابطها الأساسية، ذلك أن من ادعى الوسطية مع الخروج عن الاستقامة فوسطيته ادعائية وليست وسطية شرعية.

والاستقامة هي لزوم المنهج المستقيم. فهي ضد الطغيان والانحراف الذي هو مجاوزة الحدود في كل شيء.

فالاستقامة كما يقول ابن القيم «كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء. والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله» (ابن القيم، 1989، 79/2).

ولقد تعددت النصوص الدالة على أهميتها ولزومها منها:

– قوله تعالى: [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون] (فصلت، 30).

– قوله تعالى: [إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه] (فصلت، 06).

– قوله ﷺ: (قل آمنت بالله ثم استقم) (مسلم، 65/1).

وبناءً على ذلك فالصراط المستقيم هو قيمة الوسطية وذروة سنامها.

6. الخاتمة

ذاك هو الغلو والتطرف وضحناه بجميع سلبياته وبدون تعصب. ونتج أنه منهج حياة أفترضه المغالي على نفسه بتوجيه من عقله البشري المنعوت بالقصور وبمقتضاه كلف نفسه ما لا تطيق.

وذا هو الفكر الوسطي للإسلام بإيجابياته ويسره وسماحته، وهو منهج رباني ابتغاه الله لعباده ولم يكلفهم فيه إلا ما يطيقون فرفع عنهم الحرج ويسر لهم عبادته.

فهل باتباع هذا المنهج السوي يبقى من درن الغلو شيء؟ لعل هذا يكون جوابا شافيا للسؤال المطروح في صلب البحث وحلا لإشكالية الموضوع.

7. فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، مطابع العبيكان، ط1، 1404هـ.

التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار الكتب الشرقية، تونس.

تفسير القرآن العظيم: ابن كثير تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرون، مطبعة الشعب، القاهرة.

تهذيب مدارج السالكين: ابن القيم، مؤسسة الرسالة، ط3، 1989م .

سنن ابن ماجة: تحقيق محمد فؤاد الباقي، مكتبة عيسى الحلبي، ط1، القاهرة.

سنن الترمذي: تحقيق أحمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة.

الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط31، 1984م.

الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: يوسف القرضاوي، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط1، قطر، 1402 هـ.

صحيح البخاري، دار الفكر، ط1، 1991م.

صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، ط1، 1929م.

الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط4، 1996م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989.

لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت.

المعجم العربي الأساسي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب، 1939م.

معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: محمود عبد الرحمان عبد المنعم، دار الفضيلة، 1999.

معجم مقاييس اللغة : ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت.

الوسطية في القرآن الكريم: علي محمد الصلابي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2007م.